أظافر صغيرة وناعمة...

فهد العتيق

صدر عام 1994م

عن النادي الأدبي بجدة

وعام 2000 م
مختارات فصول بالقاهرة

الهيئة المصرية العامة للكتاب

الأناشيد والناس

في الفجر يمد نظره نحو مشهد النساء , يقترب من النافذة ، يطل على السوق ، يرى العباءات السوداء تتدفق في الشارع الصاخب ، الشارع الضيق الطويل ، حتى إذا ما اكتملت دقات السادسة صباحا ، كانت النساء قد أخذن أماكنهن صفوفا طويلة على جنبات السوق تحت جدران البنايات القديمة ، يتحدثن بأصوات مرتفعة ، ويثرن الغبار حولهن وحول الناس الذين يروحون ويأتون ، كما لو أن عملهم هذا الذهاب وهذا الإياب، النساء اللاتي يشبهن الجراد العجوز بملابسهن الملونة وعباءات أجسادهن اليابسة ، نساء بقدود مثل الأعواد ، دقيقة وطويلة، وضحكات صاخبة ، فرحة ، يفرحن ويبعن أشياء كثيرة ، أو يضحكن فقط ، ضحك كأنه شياطين صغيرة تخرج من صدورهن الهزيلة أو كلام ينبعث من حلوقهن مع رائحة اللبان، نساء ومع ذلك يضحكن بعمق ، بعضهن جئن من القرى المحيطة وبعضهن جئن من الحارات المجاورة يبعن ويشترين، يبعن الخبز والتمر والحمام والتعاويذ ويشترين الأقمشة ، نساء ورجال يتداولون أساطير شعبية ومقولات قديمة علقت بغبار الوقت ، يبعن أشياء مسحوقة للمرضى في أكياس أو في علب فارغة لها رائحة الحناء وطعم اليانسون والحلبة ، وكلها للمرضى ، هؤلاء الذين فقدوا القدرة على مواجهة الحياة إلا

بأرواح سوداء ويأس وقلوب معذبة ، يقرؤون عليهم الآيات ، وينفثون الهواء من صدورهن المتعافية على الصدور الممروضة التي تبكي اَناء الليل وأطراف النهار.

وإذ تميل الشمس إلى الغروب يأتي إلى النافذة ليحضر المشهد الآخير ، مسيرة الناس وهم يغادرون السوق مخلفين وراءهم أناشيد وأغنيات وصدى ضحكات وصخب وغبار ، فلا يتبقى من ظلام الوقت سوى وجوه قليلة شاحبة يعلوها الغبار ، بأصوات خافتة كأنها لأشباح تتحرك في ظلام ، يتمّون عمليات بيع صغيرة في همس موح.

يقف أمام النافذة ، أمام اثر غامض لقصص أسطورية يتركها هذا المكان كل يوم ، وعندما يهبط الظلام ، يصعد إلى سطح البيت المترب ، ينتظر أن ينام وسط حارة مخنوقة الأنفاس ، يحلم أن يعمل أو أن يعمر بيتا ، يسافر في سماوات بعيدة ولا ينام ، يستلقي في فراشه ، وهو يشعر دائما برطوبة الجو الخانق ، وحرارته ، يدخن ويتأمل السماء كأنها كهف اسود ، أو يتأمل أمه وأخته اللتين تنامان قريبا منه ، وفي الغالب يشعر بأخته التي لا تنام ، يسمع حشرجات صدرها المريض ، يلتفت غليها ، يجدها تلتف إليه وتهمس:

– أريد أن أذهب معك هذا الصباح إلى الطبيب.

– أنت متعبة.

– مللت ، أريد أن أخرج ..

يتذكرها طفلة تركض معه في الأسواق ، أو عندما تسرق البيض من أطباق البائعات ، طفلة جميلة وطويلة بشعر قصير ، أو يتذكر أيام الجمع عندما يركضان إلى ساحة القصاص لرؤية السيف والسياف ، يتذكر كل ذلك ، وهو الآن يسمعها جواره بصوت مريض وحزن ناعم يبكي:

– لا تنس إذن أن تحضر معك الجرائد ومجلات فنية.

– لن أنسى.

ثم يراها بعد قليل مع دنو الفجر تقف بجسدها الهزيل كنخلة نحيلة ، تمشي إلى الفتحة الواسعة المطلة على بيتهم ، تقف طويلا هناك جوار الجدار ، وهو يتأمل جسدها الذي يبدو كشبح وسط سواد الليل ، يسمعها تسعل أو تبكي بصوت خافت ، في هذه الهدأة العميقة ، تبكي بصوت خافت ما يلبث أن يرتفع فيهز جسدها بكامله ، تحت وطأة إحساس حاد بالمرض والملل واليأس ، يقول لها بهمس : عودي إلى فراشك ، لكنها لا تسمعه ، ينهض إليها ، إنه يعرف أنها تبكي من أجله ، أو من أجل مرضها ، أو من أجلنا جميعاً ، من أجل الحارة التي تركها أهلها ولم يعد أحد يعرف أحدا ، ذلك الوقت الذي بدأت فيه تمرض أو تموت عندما قالت إحدى نساء السوق الوافدات : ابنتكم سوف توهب حياة جديدة تليق بقلبها الطيب ، اغسلوا جسدها كل يوم بأوراق الحناء ثم استعدوا لاستقبال ضيف حياتها الجديد، نفذّت الآم هذه

التعليمات، وقرأت معها سورة الفلق ، حتى أصيبت البنت بداء الصدر ، يقترب من أخته يضع رأسه على كتفها بحنو : غداً سوف تشفين يا حبيبتي.

هاهو الآن يقف أمام السوق ، يمد نظره نحو مشهد النساء الاحتفالي ، يطل بحزن، ويتذكر أختا مصدورة ، وأما غالية ، وبيتا كان يضج صباحا ومساء ، بصوتين جميلين لامرأتين عذبتين تركتاه وسافرتا إلى الله ، بينما يتحرك تحته عالم صاخب بالرجال والنساء والأطفال والتواريخ والأساطير والتعاويذ والأمراض والذكريات ، وآثار أصوات قديمة يسمع صداها بين الحين والحين في هذه الفراغات المجدولة من الحلم.

أظافر صغيرة وناعمة

(1)

مهموم بنفسك والوقت والناس والحياة ، وطابور من الأطفال ذوي القامات القصيرة جداً والأجساد النحيلة كقردة جميلة ، مهموم بأبيك الذي في الشوارع مثل طير منتوف الريش ، يركض بكل ما يستطيع من أحلام قديمة ، مهموم بتاريخك منذ الأزل ، بالبحر الذي لم تره .. وبامرأة تراها كثيراً في ساعات نومك الطويلة ، توقظك في نهايات الليالي، تتلو على رأسك سور الحلم والفرح والتحليق فتستعيذ بالله من شر فتنتها ، ومن شر بكائها العذب على صدرك المسترخي حد موت الأعصاب الباردة ، مرعوب من الوقت ، منذ أحنيت رأسك ، وكنت ترى طفلاً صغيراً مقموعاً يريد أن يستيقظ من سبات طويل ، هذا الطفل تراه جيداً يركض في الشوارع والحارات ، ويكتب على الجدران أسماء الأصدقاء . يبني بيوتا من تراب يركض في كل حارات المدينة ، ويسهر الليالي الطويلة ، يدخن ويشرب مضمخاً برائحة الوقت اللذيذ والرقص والنساء ، وعندما يستوي لينام تقبض عليه بيديك الاثنتين ، تحدق في وجهه جيداً ، وعينيه المشاكستين ، تتحسس أظافر يديه ، إنها تقتلك ، توقظك في الليل من أجل أن تمارس عليك طقوسها فتثور ، وفي النهار تحني رأسك للأشياء.

(2)

تفيق على وجه كظيم وقنوط , وأظافر قصيرة لطفل كبير يبعثر الأسئلة واللعنات ، ثم تتذكر بكاء أمك ، وخوف أبيك ، أبوك الذي في الشوارع وأظافرك والأطفال وعيون تبحلق باستحياء في أظافر ناعمة .. ناعمة.

(3)

في الضحى تدخل ظلام الحجرة المستحيلة التي تعبق برائحة اليانسون والحلبة والليمون والنساء المريضات ، تجلس على حافة السرير الأبيض تتأمل ووجهها المريض، يد منثورة في اتساع السرير ويد على صدر الصغير ، الذي قدم تواً ، تقبل رأسها ، ثم تفتح لفافة الصغير ، تفيق أمه على صوتك ، وأنت بصمت مريب تفتح اللفافة ، تكشف لك قطعة لحم حمراء ساخنة بداخلها عيون صغيرة تبحلق في المكان ، تخرج الكفين الأحمرين ، تنظر إليهما ، ترفعهما براحتك ، تنظر في أظافرهما ، تبتسم ، تلف الجسد مرة أخرى ، تعيد أعضاءه إلى مكانها ثم تبادل أمه نظرة وامضة ، وتخرج فرحاً كأنك ترقص ، تدخل ظلام الغرفة القديمة ، ترفع كفيك وترى في

أظافرك شكلاً لأبيك الذي في الممرات البعيدة ، أبوك الذي في الأزقة القديمة يحني رأسه وتاريخه للأشياء ...

حالة فصام ..

لا يعلم كيف تحركت البركة الساكنة ، كيف أنها ماجت بشدة وبدأت تنثر مياهها الساخنة، لابد أن خللا كبيرا فيه، وهو لا يعرف ما الذي جعله يتوقف عن مسيرته الاعتيادية هكذا ، عند انبطاحه طويلة ، وقبل ذلك ليقول لنفسه في ذلك المساء الحزين:

- أريد أن أنام فقط.

وهو يعلم انه أفاق للتو، وربما الذي حّركه تلك اللحظة أكبر من أن يعيده كما كان قبل الآن ، تلك الأزمنة الغابرة التي ركض فيها أبوه ، وركض هو من بعده ، ولكن لا يعرفان إلي أين ؟!..

****

استمر فوق فراشه يئن بحلم يقظ ، تملؤه رائحة الغرفة العالقة منذ زمن بالوسادة ، لم يكن يشعر بأي شئ ، وكان جسده هادئا كما لو أنه يريد أن يلبث هكذا حتى الموت ، ولم يكن أكثر من هذا الشعور المدمر بالخوف وفقدان الحياة ، إلا انبطاحه سهلة مدت جسده ببذخ علي السرير بينما ترتفع من رأسه أصوات خافتة تئن متوازية مع أزيز غامض يدور في جوف رأسه ، تخاطبه زوجته , يرد عليها: أريد

أن أنام , فتكتفي بأن تتأمل موته عندما تريد أن تعيش أحزانها وأوهامها باكية دائما , وهي تذكر ذلك اليوم من ذلك العام القديم عندما بكى علي صدرها: اليوم اكتشفت شيئا ، انظري إلى شعر رأسي.

كان يطلق الكلمات بسرعة عجيبة ، وبعد صمت يتناول سجائره ، ويدخن ثم يهمس لها: لا تقلن أيتها النساء إنكن تتضايقن من وجودنا , ثم يضحك , آه لو ننام طويلا , أو ننام سويا , إلي الأبد.

هذه آخر مرة تحدث لها متأزما , وتذكر أيضا أنها سألته:

- ماذا جري لكم يا رجال. ؟
- سألها: ماذا ؟
- قالت له: المريض والمتعب والذي لا يترك داره..
- سألها: أين ترين علينا أن نذهب ؟
- قالت : النساء يملان الشوارع والأسواق وأنتم... !!

استمر راقدا دون أن يشعر بأي شئ ، سوى حزن ذاكرة انفردت بالتعب الطويل ، وبدا له في تلك اللحظة التي رمي فيها جسده علي السرير أنه بدأ يستعيد نفسه من جديد ، بدا له العالم جديدا وأنه امتلك شيئا ثمينا ، شيئا طازجا.. أليفا ، كان قد قرر أن يقبض عليه منذ زمن طويل دون أن يملك الجرأة ، سكنت فيه الآلام ، وعلي غير العادة امتلأ بفيض غزير من نشوة تملكته بالكامل ، يفتح عينيه بعد

عشر ساعات من النوم ثم يعاود إغلاقهما وهو مستمر في سكونه بكبرياء ، يحاول أن يطامن رعبا في صدره ، تدهور يركض خلفه بيأس منذ سنين ، وكان في أحيان أخري ، عندما يفيق من نومة طويلة يرفع رأسه ينظر إلي من حوله كما لو أنه يريد التأكد من حقيقة وجوده ، يسعل أو.. يعود بهدوء إلي الوسادة مصحوبا بالدوار.

****

لابد أن خللا قد حدث فيه ، وشئ غريب أن يحدث هذا خصوصا وقد تجاوز تأزمات كثيرة ، كيف تساقطت أحجاره دفعة واحدة وسقط الجدار العريض ، لابد أن شيئا أكبر مما يتصوره قد حدث ، ولعل الذي يغسله الآن ، ويجعله هامدا بهذا الشكل الحيواني المثير للشفقة أكبر من أن يعيده إلي رشده أو الي وقته الذي كان عليه ، بيته ، وأولاده ، وزوجته ومدرسته وقصائد شعره .

أما زوجته فقد اهتزت كل الصور في أعماقها وهي تتأمل هذا الرجل بحزن ، أو وهي تطرح السؤال المعتاد :

- لقد أطلت النوم ..

يرد عليها :

- أنا هنا لأنني أريد أن أنام .

ترفع صوتها :

- ولكنك تنام منذ عدة اشهر ..

لا يستطيع أن يقول شيئا ، تذهب كلماته في أعماق قصية مشلولة ، يردد دائما كلمات مرتبكة عن النوم ، كما لو انه يقول شيئا جديدا ، يتأفف .. أو يسعل أو يطالع في الوجوه حوله، ثم يعود الي النوم . الشيء الوحيد الذي يعرفه أن هذه المرأة التي تدور حوله أو التي تضع وجهها قبالة وجهه ، تملك وجها له ملامح مألوفة لديه ، وهذا يكفي ، أما أحاديثها عن مدرسته وطلابه فهو ضمن الأشياء التي تصب في خانة الإزعاج.

****

فحصه طبيب ثم حقنه بمصل وسأله بعد ذلك : بماذا يشعر الآن ؟ وكان الطبيب يبتسم ، اغمض الرجل المريض عينيه وقال بصوت له رائحة الموت : اشعر كما لو أنى أريد أن أنام .

أما شيخ المسجد فقد نزع ثياب الرجل وصب علي جسده ماء الزعفران واستمر يقرا الآيات حتى أصابه الإعياء ، لان الرجل المريض لم يكترث لشيء ، وكل ما فعله ، وهو راقد أن القى نظرة علي وجه الشيخ وكانت نظرة اندهاش ، ثم مال بوجهه عنه

ونام ، حتى ارتفعت رائحة الحزن والغضب في الحارة وأخذت تفوح وتكسي الجدران بأثرها الرمادي الغامض ، فقال الناس أشياء كثيرة عن الحياة وغضب الله ، أما الشيخ فقد خرج من بيت المريض يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم .

وهكذا ظل الرجل نائما ، وغير مكترث ، وكان كل ما عليه أن يتقدم في العمر ، أما أولئك البؤساء زوجته وأطفاله وأقاربه فقد اسلموا أنفسهم الي أمواج البكاء العارمة ، لان الشيء الذي لم يحدث من قبل ، وما لم يكن محتمل الحدوث صار يجري الآن أمامهم مثيرا في أنفسهم أسئلة غامضة وحزن ، وانهيارات متلاحقة.

****

قبل ذلك المساء الحزين الذي قرر أن ينام فيه إلى الأبد , كان قد نام عشر ساعات متواصلة، وقبل ذلك قال لامرأة ذات وجه اصفر هي زوجته : لكي ارتاح علي أن أنام ولكي أنام علي أن املأ رئتي بالهواء والدخان الطازج الذي يأكل لحم المتعبين والمرضي ثم انه شرب إبريقا من الشاي ودخن علبة سجائر.. ونام ، وحين أفاق وضرب نظره صفحة وجه اصفر لزوجته قال لها : أنا لا أستطيع أن انهض ، وهو يعلم ، كما تعلم هي انه أفاق للتو ، وهكذا تواصلت أيامه نائما أو حزينا ، أو طالبا للماء لكي – كما يقول – يروي عطشا قديما , تواصلت الأيام التي لا يعرف

عددها وهو نائم ، وكل ما كان يعرفه أن هذه الأشياء التي يزدحم بها رأسه لم تجعله يتقدم خطوة واحدة نحو حالة أخرى اكثر أمانا ، فقد استقر في المنطقة الأكثر خطورة ، والأكثر عذابا لروحه ، ولكنه يقترب من الرغبة الأكيدة والحادة في أن يبكي طويلا ، طويلا جدا ، وكان بين الحين والآخر يدهمه هاجس أمل غامض بأنه سوف ينهض من كونه نائما ويطفئ عطشه الدهري ، سوف يغسل طعم الكبريت في فمه وصدره ويصحو من هذه الغفلة الموحشة ، ثم يقبل رأس زوجته , ويذهب الى مدرسته , يقرا علي أسماع طلابه نصوصا عربية.

****

بعد أن ذاب بين أيديهم مثل صل قطعة ثلج , ذهبوا ركضا الي المرأة التي كان يهجس بها كثيرا، سألوها ، قالت لهم أن الحكاية طويلة ، وقالت انه في طفولته كان عندما تنتابه حالة النعاس يركض إليها بخوف شديد : أخاف عندما أنام أن أظل هكذا نائما حتى الموت .

****

الرجل الذي اسلم نفسه لسلطان النوم ، بعد ليلة شهيرة دخن فيها علبة سجائر وشرب إبريقا كاملا من الشاي ، ذلك الرجل الأصفر الذي كان مدرسا لمادة النصوص العربية في مدرسة ثانوية ، شعر في ذلك الصباح انه نام اكثر مما يجب ، وهو لا يعرف كم ليلة نام علي وجه التحديد ، ولا يعرف أي تاريخ يلبسه هذا اليوم ، لقد شعر بنشاط لم يألفه ورغبة تدهمه بان يطير بجسده عن الأرض ، يرمي به ليطير مرة أخرى ، يعانق الأرض والسماء في احتفالية حلم ، لبس الرجل ثيابه أول الليل وخرج خلسة فتراءى له المدى لا نهائي ، واجتاحه شعور مبهم بان ما حدث لم يحدث ولا يمكن أن يحدث ، خرج يردد أبيات شعر عربية انهمرت علي إيقاعاتها خطوات بطيئة تمشي في كل الاتجاهات ، واشتعل حماسه حتى رأى أطيافا تومض من البعد هناك في نهاية الشارع تحت الجدران تتلصص عليه ، مشي الي الشارع الكبير ، مرورا بشوارع فرعية صغيرة وسوداء ، ثم التفت إلى الخلف ، ورأى الأطياف المبهمة تدخل في ظلام الشارع الخلفي الآخر ، توقف ليتأكد منها ، وصعق حين رأى وجوها مألوفة كان يراها دائما في غربة سنوات طويلة من النوم واليقظة السطحية الحالمة ، وجها لزوجته ووجا للطبيب ووجها لمدير المدرسة الثانوية ووجها لإمام المسجد , مشي خطوات صغيرة في اتجاه الشارع الكبير , ثم التفت الى الشوارع الخلفية التفاته سريعة ، ثم أخيرا .. أطلق ساقيه لريح ما.

****

كان في ركضه الجديد , يرى ذلك الرجل الآخر , الذي انطلق فجأة , من غابة مظلمة , في أعماق الرجل الذي كان علية قبل الآن ، ذلك الرجل الذي شعر انه يخرج من بيته بعد نومة عظيمة وباسلة ، وهو لا يزال ممددا في فراشه يتشمم رائحة الغرفة العالقة منذ الأزمنة القديمة بوسادته، ذلك الرجل الذي يركض الآن ، ويفكر بكل ما أوتى من وعي أن هذه المرأة التي ترقد متطامنة الي جواره , لها وجه ملائكي مثل القمر .

****

كان على الناس الذين يعرفونه , والذين لا يعرفونه , أن يحاولوا عبثا فهم ما جرى.

رائحة شبق ...

تشاهدهم هناك دائماً على ظهر صخرة كبيرة ، تطل بكبرياء على الحي المكتظ ، المصلون عندما يخرجون من المسجد , يستحمون بشمس الشتاء اللذيذة ، حولهم الأطفال يثيرون التراب , وهم على الصخرة خلف جامع الحي في الأوقات ما بين الظهيرة والعصر، كل ينفث متاعبه في صدره , أو يتلذذ وهو يستمع إلى متاعب الآخرين ، يتحدثون عن سفاهة الشباب , وعن عقول النساء الصغيرة , وفساد الأزمنة والأطفال وسفور الفتيات الجميلات ، وعن قلة الحيلة ، عن كل شئ على ظهر صخرة عجوز تلمع تحت الشمس.

الشيخ عبدالكريم ينهض من جلسته بين الجماعة ، ينهض بهدوء متصنع , في يده اليمنى مسبحة ، وفي يده اليسرى كومة من حصى صغير ، يذهب إلى طرف الصخرة في مشية احتفالية متبخترة ، وهو ينظر إلى السماء , ثم يلتفت بهدوء إلى الجماعة ، يومئ للشيخ مبارك الذي يأتي إليه على عجل ، يقول له الشيخ عبدالكريم مطمئناً: وظيفة مؤذن المسجد لك من الآن , يبتسم الشيخ مبارك ويفرح ، يفرك

أصابعه بتوتر ، يقول للشيخ عبدالكريم: جزاك الله خيراً , ثم يمسح شعر لحيته الطويلة .

يربت الشيخ عبدالكريم على كتفه ويطلق صوتاً خشناً من صدره كأنه كحة مفتعلة , ويومئ له بالانصراف , بظهر أصابع كفه اليمنى.

نهضت غالية ، ابنة الشيخ مبارك , من فراشها في العصر , مذعورة كفأرة ، ذهبت إلى دورة المياه ، اغتسلت ، عادت إلى غرفتها ، وقفت أمام المرآة ، تأملت وجهها العظمي ، وجسدها اليابس ، ولمحت في المرآة أيضاً طيفاً جميلاً لشاب يكتب على راحتها اليسرى حرفين صغيرين باللون الوردي ، تذكرت فيلما عربيا رأته منذ زمن ، وقفت مندهشة تتأمل مشهداً عاطفياً ساخناً , على رصيف مكتظ بالحياة ، ضحكت ثم عادت إلى فراشها.

في الظهر سمعت غالية صوت عربة تقف أمام الباب ، أطلت من النافذة ، كانت العربة محملة بأكياس الأرز والسكر والشاي ، انقبض صدرها الصغير ، وأحست بالدم كالماء البارد يمشي في عروقها.

لكن في مكان اخر قريب , كان خالد ابن الشيخ عبد الكريم , يتسلل , ثم يقترب من شمس الصغيرة , إبنة الشيخ مبارك , وضع كفه بكفها , ثم ضع بين القماش و

صدرها الصغير الناهض تواً , عشرة ريالات , مشيا خلف الدار , و دخل بها الى بيت مهجور بلا سقف , تصب عليه السماء نورا قويا .

بعد صلاة الظهر , قال الشيخ عبدالكريم للشيخ مبارك مؤذن المسجد الجديد: منذ الآن أنت المؤذن , ثم ضحك : أنت ديكنا الكبير , وعليك أن تنتقل فوراً إلى الدار الجديدة ، ثم ربت على كتفه , وسلمه رزمة من الأوراق المالية ، وقال له: سوف أشرب قهوتك هذا المساء في دارك و... غمز له غمزتين ضحك لهما الشيخ مبارك بنصف أسنانه السوداء ، فارتفعت في فضاءات الحارة مع الغبار ، رائحة شمها باندهاش ولغو جميع سكان الحارة.

في البيت قالت غالية ، ابنة الشيخ مبارك لأمها: رأيت في المنام أن شيطاناً على حمار أبيض , جاء يتقدم إلى أبي من أجلي ، نفثت الأم في صدر ابنتها ، وقرأت آيتين قصيرتين ، وفي هذه اللحظة ، يدخل الأب والشيخ إلى البيت , كان لصوت أقدامهم وقع الحوافر ، وكان للحارة رائحة تشبه رائحة التيوس المريضة .

وجوه النساء

كنا نسير في الطريق الطويل معاً ظُهْر يوم العطلة ، كان الطريق مظلماً قليلاً ، وكنا نرى على ضفافه غرفاً متوحدة ومنازل صغيرة واطئة ، وكانت تبين الأبواب الموارية المدهونة بكل الألوان ، ينبعث من فتحاتها أضواء المصابيح الواهنة ، وكان الناس يخرجون ممتلئين برائحة المستنقعات والرطوبة ، يركضون في الشوارع الضيقة ، وفي ظهر الجمعة يخرج الرجال إلى المساجد في احتفاليات واضحة , وبخور تكتسي على أثره الجدران بالأصفر الفاتح ، يخرجون بعد أن يستحموا بالماء والصابون والعطر ، يخرجون ليروا أنفسهم أو يرى بعضهم بعضاً , وكنا نستطيع أن نشم روائح الصابون تنبعث من أجساد الموظفين ومن أفواههم ، الموظفون وحدهم يقتنون الثياب والعطور ، وكانت النساء يملأن المطابخ صخباً ، والأطفال في عريهم المعتاد ، والشباب يروحون ويجيئون، والفتيات على الأبواب , وكانت ثمة موسيقا تنبعث من هنا وهناك ، و رجال حزينون يجلسون أمام الأبواب في جماعات ، يشربون الشاي ويدخنون , وخلفهم نساء يثرثرن ، في وقت معبأ بالذهول والدهشة وروائح الرطوبة والظلمة.

كانت الطريق معتمةً, والحارة نصف مغمضة، تسير في غير اتجاه , كأنها سفينة ثملة، وأنا أراكِ أحياناً تقفين هناك خلف الباب دائماً ، بعيدة عن العيون، أراكِ من البعد شاهقة مثل نخلة ، تبسطين وجهك البارع وكامل جسدك على ظهر غيمه طائرة تلف البلاد، أو تطل من علو يليق بسموها على حارة تشبه طفلة ضائعة، تنقلب إلى ممرات صغيرة ومتعرجة في الليل الغامض، لتمتلئ بآثار ركض لحيوانات نابحة ومخلفات منازل وسواد وصمت، وفي الصباح ترين حبات الضوء وتستمعين لأول العصافير..

ويا فخامة سيدنا الوقت لقد ضغطت أظافر الحارة على أرواحنا , وضغطت كفان ناعمتان على وجنتين صحراويتين , فتفجر الرأس ماء وأعشاباً ونخلاً وذكريات ولهواً ودوداً صغيراً ، ولازلت أراك تقفين هناك بعيدة عن العيون ، عندما التقينا وتحدثنا , وقلت لك إنك لست المرأة الوحيدة في هذا العالم التي تبكي كثيراً , وتنام قليلاً ، لست المرأة الوحيدة الجميلة , التي لا تمشط شعرها ولا تقلم أظافرها , ولا تستمع إلى الموسيقا.

في الشتاء ، والنهار قصير يأكل نفسه ، يأكل وقت الحارة ، والناس ينسحبون , من بيوتهم الطينية الباردة مثل قطط ضخمة ، يخرجون بنزوات متحدة وضحكات وتعب ، يخرجون ليروا بعظهم , ثم يعودون إلى جحورهم بأسى ، وأنا لازلت أراكِ

بعيدة عن العيون , مثل صفحة بيضاء بلا حدود , تخبئ رغباتها وخجلها وتاريخها , عن رطوبة الحارة ودفء شمسها اللذيذة.

الموظفون المعطرون يخرجون ليروا أنفسهم أو ليرى بعضهم البعض ، يمشطون شعر رؤوسهم ويقلمون أظافرهم , يخرجون فرحين بأنفسهم وبأوقاتهم وبتاريخهم ، ونحن نبحث في أدغال الوقت عن ظلمة صغيرة , تمنح القدرة على النوم ، نبحث من أول النهار , حتى الانهيار اليومي المعتاد , والسفر والخوف الغامض ، وأنا لازلت أراك هناك بعيدة خلف كل باب , أقول لك والقلب مضيء مثل شمعة: افتحي الباب , أفتح الباب ولا أجدك , أزيح غطاء اللوحة ، وإذا ... مرآة مليئة بوجوه النساء .

شموخ احتفالي

أذن الفجر فسمع صوتاً أنثوياً بقلب احتفالي ، يهمس له برفق : قم .. كأنه صدى صغير لصوت المؤذن ، يتردد في أذنه فيتذكر أزمنة الصباحات القديمة ، حتى إذا ما انتهيا ، الصوت والصدى ، شعر بيدٍ باردة تُربِّت على رأسه ، فيرد : إنني مستيقظ ، ولكن أشعر بالبرد ، يقول الصوت ناصِحاً : سوف يساعدك الرب ، يجب أن يراك الناس في المسجد ليعرفوا انك كبرت .

وفي الشارع الرطب ، القارس البرودة ، بدأ الشاب يشم روائح كريهة كأنها لبول قطط أو كلاب ، روائح قوية ونفاذة ، بالإمكان لمسها بأصابع اليد، وضع كفيه في جيبي ثوبه ، انحرف إلى شارع صغير بإضاءة ضعيفة ، يقود إلى الشارع العام وهو يتأمل حركة الأطفال مطبوعة على أتربة الشارع ، بأقدامهم الصغيرة التي ركضت كثيراً ليلة البارحة ، وهي ترشق مصابيح الضوء الباهتة بالحجارة ، كان يمشي ويفتش في مشاعره العارية ، مثل طفل ولد تواً ، مشاعره الدخانية في أكثر الأحيان ، محاولاً إعادة كل شيء لم يفهمه إلى أبعاده الأليفة ، التي تمنحه القدرة على أن يعيش سعادة متوهمة ، لكن رائحة بول القطط والكلاب ، أخذت تفوح في الحارة مضمخة جدران

البيوت بألوان مستحيلة، وخارجة إلى فضاء المدينة لتملأه بحريق هائل ، وكانت الذاكرة تعود إلى الوراء ، ذاكرة الأب الذي يملك البيت نصف المهدوم ، والأم والأخوة والأخت والحارة ، ذاكرة سوداء تُخّلف فيه أثراً من الوحل والأدغال المظلمة ، وكان يسمع همس بعض الرجال داخل المسجد ، يأتي عبر مكبر الصوت ، الذي يفرحون كثيراً لوجوده ، كأنما يمنحهم القدرة المأمولة على دخول بيوت الحارة قسراً ، كانوا يهللون أو يكبرون بأصوات مسموعة ، كما يسمع وقع إقدام بعيدة آتية إلى المسجد ، أقدام تصدر صوتاً مميزاً في هذا الوقت من الليل.

وصل الشارع ، وبدأ يمشي تحت العمارات حتى ظهر ظل صغير ، ولم يلبث حتى رأى رجلاً بملابس شبه عسكرية فارتعب خائفاً أن يرتاب من وجوده ، اقترب منه الرجل فرأى الشاب جسداً نحيلاً ووجها يشيع صفرة في المكان ، يحمل في يده صافرة إنذار ، وفي اليد الأخرى عصا سوداء ، سأله هذا الرجل بصراحة صوت يفتعل الخشونة ومفعم بالشعور بالسلطة: ابن من أنت ؟!.. قال الشاب في نفسه: إن هذا من جماعة عسس الليل، ثم رآه يتأمله باحتقار ، ثم يقترب منه ليسأله مرة أخرى بصوت آخر: ابن من أنت؟. ولماذا لا تذهب إلى المسجد أو بيتك ؟. ماذا تريد هنا في هذا الوقت ؟!.. أتم أسئلته ولم ينتظر إجابة ، كان يبدو كما لو أنه فرح بمهنته و بوجود هذا الضيف من أجل أن يمارس دورا عمليا ما ، هدأ قليلاً , ثم سأل الشاب: قل ماذا تريد هنا في هذا الوقت ؟. كان الشاب يشعر بطعم مرّ في

حلقه لإهاناته السخيفة ، فرد على الفور: أتمشى... ورأى أن إجابته قد أحبطت داخل الرجل الذي استنفد كلامه ، ولم يجد الرجل سوى أن يمد يده الطويلة جداً ليقبض بها على اليد اليسرى للشاب ، ثم ينهره وهو يصرخ: تعال معي ..!! والشاب ثابت في مكانه بصمت ، فيحاول الرجل إقناعه أنه إجراء روتيني فقط في المكتب، لكن الشاب لازال ثابتاً في مكانه ، والرجل لا يدرك أن الولد الذي أمامه كبر فقط هذا الصباح !! وفي هذا الصباح ، فقط ، امتلأ بأشياء كثيرة ، ولهذا راح الولد يتأمل قامة الرجل القصيرة وجسده النحيل ، رأى ضآلة الرجل أمام جسده الفتي والشامخ بشكل احتفالي يليق بهذا الصباح الجديد ، جسد رجل كبر توّاً، رجل في السابعة عشر ، طويل وعريض الأكتاف ، ولم يجد هذا الولد الخارج من القمقم ردا على مثالية ساذجة كان يزمع أن يرتكبها سوى أن يبدو أما نفسه اكثر وضوحاً ، تاركاً خلفه كل الجوانب الغامضة للأشياء ، ومنها هذا الرجل ، فاقترب من الرجل الذي يمسك بيده ، اقترب منه وهو يشعر بأنه يكبر كل لحظة أمامه ، اقترب بصمت احتفالي مهيب ، مدفوعاً برغبة عارمة وخطوات فرحة، تشيع بهجة في الفضاء وتكسو جدران البنايات بألوان بهية لها نكهة الربيع.

كان الشاب يحارب رغبة داخلية في التعبير عن مشاعره الجديدة التي تملؤه في هذا الصباح التاريخي ، حتى وجد فجأة جسده العريض يتقدم ليصادم جسد الرجل بعنف، ثم يرتد قليلاً ويعيد الكرّة مرة أخرى ، حتى أطلق الرجل سراح يده ، ثم تقدم الشاب

مرة ثالثة ودفع الرجل في صدره ، بينما ظل جسده الفتي صامدا وشامخاً لا يتزحزح ، حتى في عنف اندفاعه المثير للمشاعر يظل شامخا وفرحا ، وهو يرى الخوف في عيني الرجل، ذلك الشيء الذي ظل ينتظره منذ أزمنة قديمة ، تراجع الرجل إلى الوراء في خطوات مرتبكة تتعثر وخوف صريح ، جعل الشاب يتشجع كثيراً لدفع جسده اكثر إلى الأمام ، وكان صامتاً يشعر بجمال هذا الفعل الغامض بوقار، هذا الفعل الذي يسري في دمه مع خوف صغير من نهاية هذا الغضب الذي يجتاحه الآن ضد هذا المخلوق ، الذي أطلق ساقيه للريح وهو يطلق نباح صفارته بكل ما أوتي من قوة كأنه يستنجد بزملائه ، كان الصوت يملأ المكان ويهز هدوءه العميق ، وكان الرجل بصفارته وعصاه وخوفه ودهشته يختفي في ظلام دامس وهو في ذروة الذعر، والشاب يعود إلى بيته يصحبه شروق صغير رمادي وغامض ، له نكهة جديدة.

لحظات نقدية حول كتاب أظافر صغيرة ...

سرد مفتوح لالتباسات فهد العتيق في الأسلوب والمضمون

فوزي محيدلي /جريدة الحياة

نص فهد العتيق في عمله الجديد "أظافر صغيرة... وناعمة". ملتبس. والالتباس هنا يطاول المضمون كما الأسلوب حاملاً "المجموعة القصصية" إلى مرتبة تلامس عتبة الأدب الرفيع، بل أخالها تطأ هذه العتبة.

العتيق يحب محيطه ويكرهه. يحبه حتى أنه حفظ رائحة جدرانه وحاراته وأزقته، يحبه بتصويره البديع لأشخاصه ومخلفات كلابه وقططه. يعلم العتيق أنه وشخوصه بل استطراداً "أبطاله" في مركب واحد، يتحركون في محيط ضيق لا يتغير ولا يتبدل، لكنهم يحفرون فيه طقوساً وعادات وأعرافاً يتوازنون بواسطتها مع مشاغل ومشاكل العيش. ينتبه "الراوي" إلى حياة تغرق في دوامة لها خلفية منسوجة من مشايخ وباعة ونساء، نساء مجلبات بالعباءات السود وبالتعاويذ والرقيات حتى ليدخلن جو الأسطورة.

الشخوص كلها قانعة بقدرها ، بدورة حياتها التي لا يقدر شيء على زحزحة إيقاعها الضارب في جذور يخال القارئ أنها لجمال تصويرها تنتمي على أصالة أكيدة. أما التباس الأسلوب فمسألة أخرى. تنتسب المجموعة في تقنية السرد المستعملة في

النصف الأول من الكتاب إلى القرن العشرين بل الحادي والعشرين. نحن إزاء العبارة السريعة ، العبارة – البرقية، المتواترة والمتوالية الحضور كما سرعة الحياة الحديثة ، ملامسة في ذلك جمال تدفق عبارة محمد زفزاف. بيد أن إيجاز وشدة عصب هذه الجملة يميل إلى التراخي قريباً من نهاية "المجموعة" ويفلت من الكلام أحياناً جمال الأدب. والأدب أخذ الكلام والأحداث من مقالع الواقع وصياغتها ضمن جو أو نسق جذاب، مع الارتفاع أحياناً بالحقيقة إلى حدود الوهم الجميل. في بعض القسم الأخير تلتبس العبارة عند عتيق بين انتماء إلى رشاقة لاهثة بديعة وبين تقريرية يعوزها الحذف والإيجاز. على أن هذا يجب ألا ينسينا أن العتيق يجود أحياناً في رفع الواقعي إلى حدود الوهم والخيال اللافت ، حتى نكاد نستحضر في قطعة "هواجس" سمو أدب جون شتاينبك في روايته القصيرة "اللؤلؤة" التي تصور في إحدى فقراتها تنامي غيمة الشر والانتقام وانتشارها فوق القرية.

يقول العتيق في الصفحة خمسين:

"... حتى ارتفعت رائحة الحزن والغضب في الحارة وأخذت تفوح وتكسي الجدران بأثرها الرمادي الغامض. فقال الناس أشياء كثيرة عن الحياة وغضب الله...".

ويبقى السؤال، ماذا نسمي هذا العمل الذي أدرجه فهد العتيق في باب القصص القصيرة ؟

تأخذنا القراءة الأولى التي تتناول الأمور بظواهرها إلى اعتبار العمل مجموعة اسكتشات أشبه بتلك التي كتبها الأميركي هوثورن. لكن طبيعة العبارة المستخدمة وأسلوب التداعي الحر تنبهنا هنا إلى مقاربة أعمق لما قد يتبادر للقارئ لأول وهلة أنه مجرد لوحات أو حكايات سردية. في بعض مقطوعاته استخدم العتيق ضمير الغائب في سرده مشفوعاً بتداعٍ دافق للأفكار جعل العمل يذكرنا بأسلوب جيمس جويس ، وجعلنا نتذكر عمل الأخير المعنون "سكان دبلن". والعتيق قد يبغي أساساً إلى أن يرتفع بالمعيوش إلى جو شبه ملحمي ، سواء بوصفه البانورامي أو باستخدامه المتكرر لكلمة الأسطوري، والأسطورة والقدر. ومن هنا فإن جواً واحداً من الانكسار القدري يلف كامل العمل ويجمعه إلى بعضه حتى يكاد يقربه ككل من "الرواية القصيرة" ، وهو لو ملك الجرأة لأسماه رواية. وماذا يمنع ذلك ؟ فالرواية الحديثة باتت كائناً حراً ينمو سواء بالحدث أو بالشخصية أو الجو أو التداعي ، وهي ابنة الأزمنة الحديثة ، تتغير وتتحرر بتبدلها. ومع انفتاح النصوص والأنواع الأدبية وتجاور عناصرها المختلفة في ما بعد الحداثة، قد يمكن لهذا العمل الانتماء إلى الرواية، سيما وأنه في الرواية الحديثة لم يبق خيط السرد المتصاعد معياراً أساسياً للحكم على انتساب العمل إلى عالم الرواية، ثمة جو أصيل وخاص يلف العمل من أوله إلى نهايته.

وعلى رغم ذلك يبقى العمل ملتبس الأسلوب وكذلك المضمون! عمل ينتمي إلى أدب الاسكتشات ضمن المنظور الكلاسيكي، لكنه نص مفتوح الرحاب ضمن مقاربة ما بعد حداثوية. والعمل بكينونته ومضمونه ابن بيئته أو واقعه ، ومتذمر منه في آن!.

مساحة عميقة من الصمت في قصص أظافر صغيرة ..

سيد الوكيل/ صحيفة الشرق القطرية وأخبار الأدب المصرية

سقوط حر لا ينتهي ، مشهد طويل ومخيف إلى حد الاختناق العصبي ، في أشهر أفلام (ستانلى كوبريك) أوديسا الفضاء ، هذا ما أحسست به وأنا أقرأ المجموعة القصصية الجديدة للكاتب السعودي فهد العتيق.

المجموعة أسمها أظافر صغيرة جدا ، وصادرة عن سلسلة مختارات فصول من سلاسل الهيئة المصرية العامة للكتاب ، وتلك المرة الثانية التي تصدر لفهد مجموعة من هذه السلسلة المحترمة والتي يقف عليها الكتاب المصريون أنفسهم بالطوابير ، وأفضلهم حظا ينشر فيها مرة واحدة ، ورغم نظرة الحسد عند الكثيرين، أقول بصراحة لو كنت مسئولا عن هذه السلسلة لنشرت كل إنتاج العتيق فيها فالأصوات المتميزة والمواهب العميقة لا حدود لها ولا وطن ، وللجمال شخصية دولية يرحب بها الناس في مكان ، وهذه حقيقة قديمة تجعلها ثورة الميديا قضية مصير ومستقبل لوطننا العربي المسكين.

أعود إلى عنوان المجموعة (أظافر صغيرة جداً) فأقول هو عنوان مخادع ، فأظافر فهد العتيق طويلة جدا وحادة ، حتى يمكنها أن تطول الروح بخمشة واحدة فتؤلمها، إذ أن المجموعة تكاد تصدر حالة واحدة من الشعور ، هي ذلك السقوط الذي لا ينتهي ، سقوط في سديم الأحلام والهواجس ، حيث تتواتر صور عديدة وكئيبة قد تحضر من الطفولة أو أبعد من ذلك قليلا ، كميراث أبوي، أو أبعد كثيرا.. من الماضي السحيق فلا نعرف إلى أي زمان أو مكان ينتمي، ولكننا مثقلون بها على نحو قدرى ، وكأننا نرسف في أغلال ونمشى في سراديب مظلمة لا نعرف متى سنخرج منها..

(مرعوب من الوقت ، منذ أحنيت رأسك وكنت ترى طفلا صغيرا مقموعا يريد أن يستيقظ من سبات طويل ، هذا الطفل تراه يركض في الشوارع والحارات ، ويكتب على الجدران أسماء الأصدقاء، يبنى بيوتا من تراب، يركض في كل حارات المدينة، ويسهر الليالي الطويلة، يدخن، ويشرب مضمخاً برائحة الوقت اللذيذ والرقص والنساء ، وعندما يستوي وينام تقبض عليه بيديك الاثنتين ، تحدق في وجهه جيدا ، تتحسس أظافر يديه ، أنها تقتلك ، توقظك في الليل من أجل أن تمارس عليك طقوسها فتثور وفي النهار تحنى رأسك للأشياء).

أن معنى الميراث الذي يمتد من الأباء إلى الأبناء يتكرر في أغلب قصص المجموعة ، ويطل علينا بثقل لا نظن معه فكاكا، أما الركض فهو الوسيلة الوحيدة

لمقاومة هذا الميراث ، وتكاد تكون كل شخصيات المجموعة موزعة بين فعلين، الركض الذي لا ينتهي، والنوم الذي لا ينتهي ، فيما عدا ذلك فالشخصية لا تمارس فعلا حياتيا سوى أنها تدخن، وتدخن وتدخن، وكأنها تحترق، وكأن الدخان دليل وجودها المتوتر بين الحركة والسكون، ويبدو أن هذين الفعلين يتقاسمان الشخصيات في لحظة واحدة، وكأنهما قوتان عاتيتان تتجاذبان الذات لتمزقاها. فقصة "حالة فصام" تبدأ بإشارة صريحة إلى الوجود المتوتر بين الحركة والسكون، فنجد: "لا يعلم كيف تحركت البركة الساكنة، كيف أنها ماجت بشدة وبدأت تنثر مياهها الساخنة.."، أن هذه العبارة الافتتاحية تنتهي بصوت داخلي يقول: "أريد أن أنام وهو يعلم أنه أفاق للتو، وربما الذي حركه تلك اللحظة أكبر من أن يعيده كما كان قبل الآن، تلك الأزمنة الغابرة التي ركض فيها أبوه ، وركض هو من بعد، ولكن لا يعرف إلى أين..؟"

النوم.. الركض.. الدخان، ثلاثية تحكم أغلب قصص المجموعة ، وتظهر بتنويعات مختلفة ، فتجعل المجموعة أقرب إلى رواية صغيرة أو قصة طويلة، ومن ثم فمع كل صفحة تنتقل إليها يتكاثف لديك شعور واحد ، مخيف ومرهق، ويظل يتكاثف حتى تشعر فعلا أنك في كابوس لا تفيق منه، وهذه البراعة والقدرة على تصدير شعور الشخصيات القصصية إلى القارئ ، تأتي عبر لغة غاية في الشفافية، تراهن على

المشهدية البصرية عبر صور تتداخل فيما بينها في تشكيلات لونية وحركية بينما لا نسمع إيقاعات صوتية إلا نادراً ، وكأننا أمام أحد مشاهد السينما الصامتة.

أن مساحات عميقة من الصمت تؤسس لجماليات الكتابة في هذه المجموعة، لتمنح القارئ فرصة الإنصات بدقة إلى دواخل الشخصيات والتي هي في الحقيقة شخصية واحدة تتعدد أبعادها وكل بعد جديد لا ينفى الأبعاد السابقة بل يؤكدها ، وهكذا تبنى الشخصية عبر ركام من التفاصيل الصغيرة، لتكون في النهاية ثلاثية الأفعال الحاكمة، فالنوم يظهر بتداعيات أخرى مثل الدوار، الهواجس، أحلام اليقظة، والدخان يظهر في تداعيات مثل الألوان الرمادية، والسحب الداكنة، والطرقات الضبابية وهكذا.

ومن الملاحظ أن القصص لا تحتفي بالتنويعات المكانية، فأغلب القصص تدور في الحجرات ولا سيما حجرات النوم، فيما عدا إطلالات عابرة على الخارج اللصيق بالبيوت كالحارات الضيقة التي تتكرر كثيرا، أما الحجرات فهي بلا ملامح خاصة ولكنها عادة تشبه الكهوف أو المقابر، وهكذا يتجادل المكان مع باقي مفردات العالم القصصي على نحو يؤكد ذلك السقوط المخيف (استمر فوق فراشه يئن بحلم يقظ ، تملؤه رائحة الغرفة العالقة منذ زمن بالوسادة، لم يكن يشعر بأي شيء وكان جسده هادئا كما لو أنه يريد أن يلبث هكذا حتى الموت، ولم يكن أكثر من هذا الشعور

المدمر بالخوف وفقدان الحياة ، انبطاحة سهلة مدت جسده ببذخ على السرير بينما ترتفع من رأسه أصوات خافتة تئن متوازية مع أزيز غامض يدور في جوف رأسه).

الطريق الصعب في قصص أظافر صغيرة ..

عبد الله باجبير/جريدة الشرق الأوسط

اختار الكاتب الطريق الصعب في الكتابة القصصية .. فهو لا يكتب حكاية ولا حدوته تتحدد فيها علاقات البطل بالناس ، إنما حياة البطل تتعلق بالزمان وأثره في المكان.. وهو يحاول استعادة المكان كما كان.. أنه يحاول استعادة الماضي بأسلوب هادئ شديد الحساسية يتدفق عاطفة وشعراً.

وقد تحدد منهج الكاتب ، والأصح عالمه ، عندما اختار أن يفتتح مجموعته القصصية (أظافر صغيرة وناعمة) بجملة من الكاتب الفرنسي ، مارسيل بروست، يقول فيها (الكتابة بحث عن الحقيقة الهاربة في زمن مفقود ينبغي أن يستعاد حتى في غيابه).

وبروست هو صاحب أطول رواية في القرن العشرين (مليون كلمة) وعنوانها (البحث عن الزمن المفقود) وتدور كلها حول حياة الكاتب الماضية ، ومحاولة إعادة بناء الماضي مرة أخرى ، أكثر الوقت عن طريق تيار الوعي.

نحن أذن أمام ماض يستعاد في لوحات تطول أحياناً إلى صفحات وتقصر حتى تصل إلى بضعة سطور ، لوحات مرسومة بألوان الأنبوبة ، فالكلمات عميقة اللون متماسكة ومتشابكة ، مخنوقة الأنفاس كأنها كابوس متصل !

يرسم الصورة ببساطة رائعة ، ففي نهاية قصة (الأناشيد والناس) يقول:(هاهو الآن يقف أمام السوق يمد نظره نحو مشهد النساء الاحتفالي ، يطل بحزن ويتذكر أختاً مهدمة وأماً غالية وبيتاً كان يضج صباحاً ومساء بصوتين جميلين لامرأتين عذبتين تركتاه وسافرتا إلى الله).

وهذا هو أسلوب الحفر في الماضي ، أن المؤلف لا يوسف مادته ولكن يعمقها وهو يفعل ذلك ببساطة تجعلنا نقف حيارى أمام ما نحس به من شجن لم نشترك فيه ولم يكن ملكنا.

أن فهد العتيق ، يشبه طيراً فوق الصحراء ، يكشف مدنا اندثرت تحت الرمال ولكن أسوارها ما زالت ترتفع قليلاً لتشير إلى حياة اندثرت ولكن ما زالت تقاوم الموت ، إنها الذكريات التي تعيننا على الحياة ، وتجعلنا نشعر أن أجمل السنوات هي السنوات التي مضت.

فهد العتيق كاتب عجيب ، أظن أنه أجرى برفات كثيرة سابقة ليصل إلى هذا الأسلوب الموحي الساكن ، العميق ، وأنا أتصور أن مجموعته هذه بروفة لرواية

كاملة يواصل فيها الحفر والبحث عن الماضي ، وتجعله واحداً من أهم الروائيين العرب إذا تم الالتفات إليه ، والاهتمام به.

إنني أجدد إعجابي بهذا الكاتب وسأتمسك بهذا الإعجاب كلما قرأت له.